

تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري (ت 310 هـ) مصنف و مدقق

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } *

{ اللَّهُ الصَّمَدُ } * { لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ } * { وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } (1-4)

ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن نسب ربّ العزة، فأُنزل الله هذا السورة جواباً لهم. و قال بعضهم: بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فأُنزلت جواباً لهم.

ذكر من قال: أنزلت جواباً للمشركين الذين سألوه أن ينسب لهم الربّ تبارك و تعالى.

حدثنا أحمد بن منيع المروزيّ و محمود بن خِدَاش الطالْقاني، قالوا: ثنا أبو سعيد الصنعاني، قال: ثنا أبو جعفر الرزّيّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب، قال: قال المشركون للنبيّ صلى الله عليه و سلم: انسب لنا ربك، فأُنزل الله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ } .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال: إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك، صف لنا ربك ما هو، و من أيّ شيء هو؟ فأُنزل الله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } إلى آخر السورة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهراّن، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ } قال: قال ذلك قادة الأحراب: انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه.

حدثني محمد بن عوف، قال: ثنا شريح، قال: ثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال المشركون: انسب لنا ربك، فأقول الله { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } . ذكر من قال: نزل ذلك من أجل مسألة اليهود:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن محمد، عن سعيد، قال: أتى رهط من اليهود النبي صلى الله عليه و سلم، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي صلى الله عليه و سلم حتى انتقع لونه ثم سلورهم غضباً لربه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكته، و قال: اخفض عليك جناحك يا محمد، و جاءه من الله جواب ما سأله عنه. قال: يقول الله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } فلما تلا عليهم النبي صلى الله عليه و سلم، قالوا: صف لنا ربك كيف خلّقه، و كيف عضّده، و كيف ذراعُه، فغضب النبي صلى الله عليه و سلم أشدّ من غضبه الأوّل، و سلورهم غضباً، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته، و أتاه بجواب ما سأله عنه:

{ وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ و الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ و تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فقالوا: انسب لنا ربك، فنزلت: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } حتى ختم السورة

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا: قل يا محمد لهؤلاء السائلين عن نسب ربك وصفته، و من خلقه: الربّ الذي سألتهموني عنه، هو الله الذي له عبادة كل

شيء، لا تنبغي العبادة إلا له، و لا تصلح لشيء سواه.

و اختلف أهل العربية في الرفع { أَحَدٌ } فقال بعضهم: الرفع له «الله»، و «هو» عماد، بمتلة الهاء في قوله:

{ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

و قال آخر منهم: بل «هو» مرفوع، و إن كان نكرة بالاستئناف، كقوله: هذا بعلي شيخ، و قال: هو الله جواب لكلام قوم قالوا له: ما الذي تعبد؟ فقال: هو الله، ثم قيل له: فما هو؟ قال: هو أحد.

و قال آخرون { أَحَدٌ } بمعنى: واحد، و أنكر أن يكون العماد مستأنفاً به، حتى يكون قبله حرف من حروف الشكّ، كظنّ و أخواتها، و كان و ذواتها، أو إنّ و ما أشبهها، و هذا القول الثاني هو أشبه بمذاهب العربية.

و اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار { أَحَدُ اللَّهِ الصَّمَدُ } بتنوين «أحد»، سوى نصر بن عاصم، و عبد الله بن أبي إسحاق، فإنه روي عنهما ترك التنوين: «أحدُ الله» و كأن من قرأ ذلك كذلك، قال: نون الإعراب إذا استقبلتها الألف و اللام أو ساكن من الحروف حُذفت أحياناً، كما قال الشاعر:

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَ لَمَّا تَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةً شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنِ بَنِيهِ وَ
عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعُرَاءُ
تُبْدِي

يريد: عن خدام العقيلة.

و الصواب في ذلك عندنا: التنوين، لمعنيين: أحدهما أفصح اللغتين، و أشهر الكلامين، و أجودهما عند العرب. و الثاني: إجماع الحجة من قراء الأمصار على اختيار التنوين فيه، ففي ذلك مُكْتَفَى عن الاستشهاد على صحته بغيره. و قد بيَّنا معنى قوله «أحد» فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

و قوله: { اللهُ الصَّمَدُ } يقول تعالى ذكره: **المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاَّ له الصمدُ.**

و اختلف أهل التأويل في معنى الصمد، فقال بعضهم: **هو الذي ليس بأجوف، و لا يأكل و لا يشرب.** ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن سلمة بن سابور، عن عطية، عن ابن عباس، قال: الصمد: **الذي ليس بأجوف.**

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الصمد: **المصمَّت الذي لا جوف له.**

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله سواء.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الصمد: **المصمَّت الذي ليس له جوف.**

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ووكيع، قالوا: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الصمد: **الذي لا جوف له.**

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع و حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران جميعاً، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا الربيع بن مسلم، عن الحسن، قال: الصَّمدُ: الذي لا جوف له.

قال: ثنا الربيع بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، قال: أرسلني مجاهد إلى سعيد بن جبير أسأله عن الصمد، فقال: الذي لا جوف له.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: الصمدُ الذي لا يَطْعَم الطعام.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي أنه قال: الصَّمدُ: الذي لا يأكل الطعام، و لا يشرب الشراب.

حدثنا أبو كُرَيْب و ابن بشار، قالوا: ثنا وكيع، عن سلمة بن نُبَيْط، عن الضحاك، قال: الصمدُ: الذي لا جوف له.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن إسماعيل، عن عامر، قال: الصمدُ: الذي لا يأكل الطعام.

حدثنا ابن بشار و زيد بن أحمز، قالوا: ثنا ابن داود، عن المستقيم بن عبد الملك، عن سعيد بن المسيب قال: الصمدُ: الذي لا حِشوة له.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: الصَّمْدُ: الذي لا جوف له.

حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا محمد بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، قال: ثنا صالح بن حيان، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: لا أعلمه إلا قد رَفَعَه، قال: الصَّمْدُ الذي لا جوف له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن الربيع بن مسلم، قال: سمعت الحسن يقول: الصَّمْدُ: الذي لا جوف له.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عكرمة، قال: الصَّمْدُ: الذي لا جوف له.

و قال آخرون: هو الذي لا يخرج منه شيء. ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء، قال: سمعت عِكرمة، قال في قوله: { الصَّمْدُ } : الذي لم يخرج منه شيء، و لم يلد، و لم يُولَد.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء محمد بن يوسف، عن عكرمة قال: الصَّمْدُ: الذي لا يخرج منه شيء.

وقال آخرون: هو الذي لم يلد و لم يُولَد. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال:

{ الصَّمَدُ } : الذي لم يلد و لم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث، و لا شيء يولد إلا سيموت، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يُورث و لا يموت.

حدثنا أحمد بن منيع و محمود بن خِدَاش قالَا: ثنا أبو سعيد الصَّنْعَانِيّ، قال: قال المشركون للنبيّ صلى الله عليه و سلم: أنسب لنا ربك، فأَنزل الله: { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، و ليس شيء يموت إلا سيورث، و إن الله جلّ ثناؤه لا يموت و لا يورث { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } : و لم يكن له شبيهه و لا عدل، و ليس كمثلته شيء.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب: الصَّمَدُ: الذي لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفوًا أحد.

و قال آخرون: هو السيد الذي قد انتهى سُؤدَدُهُ. ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، قال: { الصَّمَدُ } : هو السيد الذي قد انتهى سُؤدَدُهُ.

حدثنا أبو كريب و ابن بشار و ابن عبد الأعلى، قالوا: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: { الصَّمَدُ } : السيد الذي قد انتهى سُؤدَدُهُ و لم يقل أبو كريب و ابن عبد الأعلى سُؤدَدُهُ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهراّن، عن سفیان، عن الأعمش، عن أبي وائل مثله.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: { الصَّمَدُ } يقول: السيد الذي قد كمل في سُؤدَدِهِ، و الشريف الذي قد كمل في شرفه، و العظيم الذي قد عظم في عظمته، و الحليم الذي قد كمل في حلمه، و الغنيّ الذي قد كمل في غناه، و الجبّار الذي قد كمل في جبروته، و العالم الذي قد كمل في علمه، و الحكيم الذي قد كمل في حكمته، و هو الذي قد كمل في أنواع الشرف و السُّؤدَدِ، و هو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلّا له.

و قال آخرون: بل هو الباقي الذي لا يفنى. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ } قال: كان الحسن و قتادة يقولان: الباقي بعد خلقه، قال: هذه سورة خالصة، ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا و الآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: { الصَّمَدُ } :
الدائم.

قال أبو جعفر: الصَّمَدُ عند العرب: هو السيد الذي يُصَمَدُ إليه، الذي لا أحد فوقه، و كذلك تسمي أشرفها و منه قول الشاعر:

ألا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعَمْرٍو بِنِ مَسْعُودٍ وَ بِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

و قال الزُّبْرُقَانُ:

وَ لَا رَهِينَةَ إِلَّا سَيِّدُ صَمَدٍ

فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه و لو كان حديث ابن بُريدة، عن أبيه صحيحاً، كان أولى الأقوال

بالصحة، لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلم بما عنى الله جلّ ثنؤه، و بما أنزل عليه.

و قوله: { لَمْ يَلِدْ } يقول: ليس بفان، لأنه لا شيء يلد إلا هو فان بائد { و لَمْ يُولَدْ } يقول: و ليس بمحدث لم يكن فكان، لأن كلّ مولود فإنما وُجد بعد أن لم يكن، و حدث بعد أن كان غير موجود، و لكنه تعالى ذكره قديم لم يزل، و دائم لم يبد، و لا يزول و لا يفني.

و قوله: { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: **و لم يكن له شبيهه و لا مِثْل.** ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } : **لم يكن له شبيهه، و لا عِدْل، و ليس كمثلته شيء.**

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عمرو بن غيلان الثقفى، و كان أميرَ البصرة، عن كعب، قال: إن الله تعالى ذكره أسّس السموات السبع، و الأرضين السبع، على هذه السورة { لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } و إن الله لم يكافئه أحد من خلقه.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } قال: **ليس كمثلته شيء، فسبحان الله الواحد القهار.**

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن جريج { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

{ : مثل .

و قال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يكن له صاحبة. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد الملك بن أبيجر، عن طلحة، عن مجاهد، قوله: { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } قال: صاحبة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن ابن أبيجر، عن طلحة، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن عبد الملك، عن طلحة، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبيجر، عن رجل عن مجاهد { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } قال: صاحبة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الملك بن أبيجر، عن طلحة بن مصرف، عن مجاهد { و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } قال: صاحبة.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن عبد الملك، عن طلحة، عن مجاهد، مثله.

و الكُفُوُ و الكَفَىء و الكِفَاء في كلام العرب واحد، و هو المِثْل و الشِّبْه و منه قول نابغة بني ذبيان:

لَا تَقْدِفِي بِيُكُنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ وَلَوْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرِّفَدِ

يعني: لا كفاء له: لا مثل له.

و اختلفت القراء في قراءة قوله: { كُفُّوا } . فقرأ ذلك عامة قراء البصرة: { كُفُّوا }
بضم الكاف و الفاء. و قرأه بعض قراء الكوفة بتسكين الفاء و همزها «كُفُّاً».

و الصواب من القول في ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، و لغتان مشهورتان،
فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.